

جامعة المسيلة

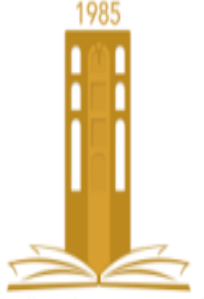
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإسلامية

السنة الثانية شريعة



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

محاضرات السداسي الرابع في مقياس اللغة العربية (البلاغة)

من إعداد الأستاذ: عيسى بوناب

الموسم الجامعي 2023 - 2024

المحاضرة 03

شروط الفصاحة

أولاً: شروط فصاحة اللفظ المفرد:

الشرط الأول: أن تكون الكلمة عربية تواضع عليها العرب

ليس المقصود بهذا الشرط إخراج الألفاظ الأعجمية كالفارسية ونحوها مما أخذ حكم الألفاظ العربية من حيث فصاحته، فإن القرآن يتضمّن بعضها وقطع العلماء بعربية كل ألفاظه، وإنما المقصود بالشرط نفي الفصاحة عن الألفاظ العامية التي لا أصل لها في الوضع في المعنى المراد، فلا هي عربية بالحقيقة ولا بالحكم.

ومثال ذلك قول أبي تمام:

جليت والموت مبد حرّ صفحته وقد تفرعن في أفعاله الأجل

الشاهد قوله (تفرعن) فإنهما كلمة مشتقة من اسم (فرعون) وهو اشتقاق عامي تظهره عادة العامة في قولهم تفرعن فلان إذا طغى وتجبر.

الشرط الثاني: أن تكون الكلمة جارية على العادة المألوفة في استعمالها

وذلك بان لا تكون شاذة، ولا مخالفة لما وضعت له ، ومن ذلك ما ورد في قول أبي عبادة:

شَرطي الإنصاف إن قيل اشترط وصدريقي من إذا قال قسط

فالظاهر أنه يريد بقوله (قسط) العدل بقريئة اشتراطه الإنصاف الملازم له، لكنه لم يُوقّق إذ يقال أقسط إذا عدل، وقسط إذا جار وظلم ومن هذا المعنى الأخير قوله عَلَيْهِ : "وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا".

الشرط الثالث: ألا تكون متنافرة الحروف

ولا يشترط في ذلك تباعد مخارج حروفها كما فهم البعض، إلا ما تعلق بحروف الحلق فإن الاقتصار على التأليف منها قبيح ومذموم في العادة، ومثال ذلك ما ورد على لسان أعرابي سئل عن ناقته فقال: تركتها ترعى الهعخع أي الكلاء.

ومن ذلك أيضا قول امرئ القيس:

غدائره (1) مستشزرات (2) إلى العلا
تضل العقاص (3) في مثنى ومرسل

(1) و (الغديرة) واجدة (الغنائير) وهي الذوايب

(2) مرتفعات

(3) العقاص جمع عقصة، وهي الصيّرة، غصن الشجر أي صنفرة ولّيه على الرأس قولهم لها (عصنة) وجمعه عَصَصٌ وَعَقَاصٌ

الشرط الرابع: أن تكون خفيفة على اللسان وذات وقع حسن على السمع

حتى وإن اشتركت وتساوت مع غيرها في التأليف وفي المعنى مثل كلمة (جفخت) بمعنى (فخرت) كما ورد في قول أبي الطيب المتنبي:

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيمٌ على الحسب الأغر دلائل (1)

ومثال ذلك أيضا لفظ (البعاق) بمعنى المزنة، وهي السحابة الممطرة.

الشرط الخامس: ألا تكون غريبة

والغربة هنا أن تكون الكلمة غير واضحة المعنى بسبب عدم تداولها مما يجعل فهمها متوقفا عن البحث عنها، ومثال ذلك ما روي عن أبي العتاهية أنه قال لمحمد بن منذر: " رأيت قولك: ومن عاداك لاقى المرمريسا؟ أخبرني عن المرمريس ما هو، فخرج ابن منذر وما راجعه حرفا. (2) فلولا غرابتها ما سأل عنها أبو العتاهية.

ومن ذلك قول عيسى بن عمر: " ما لكم تكأتم عليّ كتكأكنكم على ذي جنّة افرنقوا"

الشرط السادس: ألا تكون مخالفة لقواعد الصرف

ومن ذلك قول أبي النجم العجلي:

الحمد لله العلي الأجلل الواسع الفضل الوهوب المجزل

والشاهد أن الشاعر خالف القياس ففك ما يجب إدغامه (الأجلّ)

ومثاله أيضا قول المتنبي:

فلا يبرم الأمر الذي هو حالل ولا يحلل الأمر الذي هو مبرم

الشرط السابع: أضاف بعضهم الاعتدال في الوزن

وذلك بأن لا تكون الكلمة كثيرة الحروف كقول أبي تمام:

أنله باستماعكه محلا يفوت علوه الطرف الطموحا

(1) أي فخرت بهم طينعت تدل على حسبيهم وعز أبايهم وهم لا يفخرون بها

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني 95/4

فكلمة (باستماعه) كثرت حروفها إلى حدّ خروجها عن الفصاحة على رأي بعضهم. لكن لعل الضابط في ذلك هو الذوق لا أكثر
فقد تكثر الحروف وتبقى الكلمة خفيفة على اللسان.

ثانيا: شروط فصاحة الكلام:

يوصف الكلام بالفصاحة إذا توفرت فيه جملة من الشروط، والمقصود بالبيان هنا شروط فصاحة النظم أو الكلام المفيد، ومما اشترطوا في ذلك:

الشرط الأول: فصاحة الكلمات التي تؤلفه كل على حدة.

الشرط الثاني: عدم تنافر الكلمات في النظم

وذلك بأن لا يعسر على اللسان النطق بها منتظمة وأن لا يسبب اجتماعها على السمع ثقلا، وقد يكون هذا التنافر خفيفا كما في قول أبي تمام:

كريم متى أمدحه وأمدحه والورى معي وإذا ما لمته لمته وحدي

وقد يكون تنافرا ثقيلًا كما في قولهم:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

الشرط الثالث: أن لا يكون ضعيف التأليف

ويدخل في ذلك كل ما خالف قواعد التأليف الخفية أو الظاهرة المطردة من إعراب وبناء ونحو ذلك: ومن أمثلة ذلك قول أبي العلاء المعري:

تعب كلها الحياة فما أع جب إلا من راغب في ازدياد

والقاعدة أن التوكيد من التوابع التي ينبغي تأخرها، والشاعر هنا قدّم التابع وأخر المتبوع

ومن ذلك أيضا قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ولو أن مجدا أخذ الدهر واحدا من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

والقاعدة أن الضمير لا يعود على المتأخر لفظا ورتبة معا، لكن في البيت الضمير في "مجده" يعود على "مطعما" وهو متأخر في اللفظ كما نرى في البيت وفي الرتبة لأنه مفعول به، ورتبة المفعول متأخرة عن رتبة الفاعل.

الشرط الرابع: خلوصه من التعقيد

والتعقيد هو خفاء الدلالة لخلل إما في اللفظ أو في المعنى:

أ_ التعقيد اللفظي:

كتشيتت الكلمات وبعثرتها والفصل بين ما حقه التجاور بما يصعب إدراك المراد ومثاله قول الفرزدق يمدح إبراهيم خال هشام بن عبد الملك بن مروان:

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حيُّ أبوه يقاربه

وهو يريد: وما مثله في الناس أحد يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه، فالخلل وقع في نظم الكلمات والفصل بين المتجاورات.

ب_ التعقيد المعنوي:

وهو استعمال الألفاظ في غير معانيها المعروفة عند العرب، كقول العباس بن الأحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

يريد الشاعر سأطلب الحزن الذي هو لازم البكاء من أجل أن يحصل السرور، وقد عبر عنه بجمود العين يريد خلوها من الدمع لكنه لم يُوقِّق لأن وصف العين بالجمود يعني بخلها به كقول أبي عطاء:

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود

الشرط الخامس: كثرة التكرار

كمثل قول المتنبي:

ومن جاهلٍ بي وهو يجهل جهله ويجهل علمي أنه بي جاهلٌ

ولا شك أن الضابط في التكرار أن المذموم منه هو ما كان زائدا لا يتوقف عليه بيان، أما إذا توقف عليه المعنى فلا يذم كقول أحدهم:

ولولا دموعي كتمت الهوى ولولا الهوى لم تكن لي دموع

فصاحة المتكلم:

هي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المراد بكلام مستوف لشروط الفصاحة في لفظه ونظمه